الفصل الثالث

بـرد الشـــــــــتاء

مما لا شكَّ فيه أن أبرز مظاهر فصل الشتاء على الإطلاق هي ظاهرة البرد الشديد حتى أنه إذا ذكر الشتاء فإن أول ما يتذكر الناس منه برودة الجو .

فالبرد ظاهرة اقترنت بفصل الشتاء اقترانًا وثيقًا دون غيره من بقية فصول السنة ودون غيرها من مظاهر فصل الشتاء كالمطر والرياح والرعد فهذه الظواهر وإن غلب ظهورها في فصل الشتاء إلا أنها قد تظهر أحيانًا في بقية فصول العام وإن كان ظهورًا ليس بالكثير والمألوف ،أما البرد فهو خاصٌ بفصل الشتاء.

من هنا كان لزامًا علينا ونحن نتحدث عن فصل الشتاء أن نفرد لهذه الظاهرة فصلًا كاملًا لأنها أبرز وأهم مظاهر فصل الشتاء لذا رأيت أن أجعله الفصل الثالث في هذا الكتاب أي وسط الكتاب لأنه لُب الموضوع وبيت القصيد.

ولأهمية هذه الظاهرة فإننا سنتعرض لها بشيء من التفصيل ربما لا تجده في الفصول السابقة ولا اللاحقة ولذلك كان هذا الفصل من أطول فصول الكتاب.

ولقد قسَّمتُ هذا الفصل إلى عدة مباحث:

المبحث الأول: نبذة عن أصل البرد وأسبابه والحكمة منه .

المبحث الثاني: ما ينبغي على المسلم عند البرد.

المبحث الثالث: أعمال يتضاعف أجرها عند البرد.

المبحث الرابع: بم يذكرنا البرد وكيف ينظر المؤمن لبرد الشتاء؟

فتعالوا بنا نتعرف على هذه الظاهرة عن قرب.

المبحث الأول

نبذة عن أصل البرد وأسبابه والحكمة منه

أصل البرد وأسبابه:

أصل البرد عبارة عن : انخفاض كبير في درجة الحرارة يشعر معه الإنسان بقشعريرة في جسمه وقد يصل إلى انعدام درجة الحرارة أصلًا إلى ما تحت الصفر وهو ما يسمى بالزمهرير وقد يصل إلى درجة التجمد وهو ما يسمى بالثلج.

أسبابه:

إذا أردنا أن نعرف السبب في ظاهرة البرد فلن نستطيع أن نقف على سبب معين فقد اختلف العلماء في تحديد السبب الحقيقي لهذه الظاهرة.

فعلماء الطبيعة والجغرافيا مثلًا يرون أن البرد ظاهرة طبيعية ناتجة عن عوامل مناخية إما لنتيجة دوران الأرض حول الشمس والذي ينتج عنه الفصول الأربعة وقالوا إن معيار ارتفاع الحرارة في الأرض وانخفاضها حسب قربها أو بعدها عن الشمس أو مواجهتها للشمس أو عدم مواجهتها.

أّما علماء الشرع فيرجعون هذه الظاهرة لأسباب إلهية ويرون أنه لا طريق لمعرفة ذلك إلا الوحي ولقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن: "**البرد والحر فيحان من فيح جهنم**" [1]

ومع أن الرأيين ظاهرهما التعارض إلا أنّنا يمكننا التوفيق بينهما فنقول: أيما كانت الأسباب طبيعية او إلهية فلا تعارض بينهما فلا مانع أبدًا من ان تكون لهذه الظاهرة أسباب طبيعية معلومة أو تكون لها أسباب إلهية بل إن وجود هذه الظواهر كلها بأسبابها الطبيعية من تمام الحكمة الإلهية ودليل كمال الخلق وحبك الصنعة.

فالعوامل المناخية وحركة الأرض وطبقة الأوزون وغيرها انما هي بتدبير وتسيير الله تعالى فالعقل البدائي يحكم لأول وهلة بأن حركة الكون بهذه الّدقة وهذا النظام لابد أن يكون وراءها محرّك والمؤمن يعتقد اعتقادًا جازمًا بأن المؤثر الحقيقي في كل الأشياء هو الله.

([1]) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد رقم ١٧٠٠، رواه أحمد رقم ٢٤٧ ج ٥ ص ١٦٢

الحكمة من ظاهرة البرد:

إذا كنا قد انتهينا الى أن أسباب البرد طبيعية كانت أم سماوية فهي بتدبير الله تعالى فلا يوجد شيء في ملك الله خلق هكذا عبثًا إنما لحكمة إلهية قد نعلم بعضها لكنّا نجهل الكثير منها يقول تعالى: " **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ". [1]

فتعالوا نتلمس بعضًا من هذه الحكم لندرك بالفعل نعمة الله علينا.

١ـ تحقيق مصالح العباد:

يقول ابن القيم مؤكدًا على أن كل ظواهر الكون لحكمة إلهية أراد بها الله تعالى تحقيق مصالح كثيرة للإنسان الذي هو خليفته في أرضه فيقول: "ثم تأمل أحوال الشمس وانخفاضها لإقامة هذه الأزمنة والفصول وما فيها من المصالح والحكم، إذ لو كان الزمان كله فصلًا واحدًا لفاتت مصالح الفصول الباقية، فمثلًا لو كان صيفًا كله لفاتت مصالح الشتاء ولو كان شتاءً لفاتت مصالح الصيف وكذا لو كان ربيعًا كله أو خريفًا كله. [2]

ثم يوضّح ابن القيم بعض الحكم من وراء ظاهرة البرد تحديدًا فيقول: "ففي الشتاء تغور الحرارة في الأجواف وبطون الأرض والجبال فتتولد مواد الثمار وغيرها وتبرد الظواهر ويتكثف الهواء فيحصل السحاب والمطر والثلج والبَرَد الذي به حياة الأرض وأهلها واشتداد أبدان الحيوان وقوتها وتزايد القوى الطبيعية واستخلاف ما حللته حرارة الصيف من الأبدان". [3]

٢ـ نمو بعض النباتات:

ومما يظهر لك أيضًا أن هناك بعض النباتات التي تدخل في غذاء الإنسان وقوته تحتاج الى درجة حرارة منخفضة لكي تنمو وكذلك بعض أنواع من الفاكهة. ولو زرعت هذه النباتات في غير الشتاء لما نضجت ولو حاولت استنضاجها ولو بتوفير درجة البرودة اللازمة لها لما كانت مثل الطبيعية ولو جدت استثقالًا في هضمها.

وفي هذا الصدد يقول ابن القيم: "تأمل كيف اقتضت الحكمة الإلهية موافاة أصناف الفواكه والثمار للناس بحسب الوقت المشاكل لها والمقتضى لها فتوافيهم كموافاة الماء للظمآن فتتلقاها الطبيعة بانشراح واشتياق منتظرة قدومها كانتظار الغائب للغائب.

ويقول أيضًا: فلو كان نبات الصيف إنما يوافى في الشتاء لصادف ذلك كراهية من الناس واستثقالاً بوروده مع ما كان فيه من المضرة للأبدان والأذى لها وكذا لو وافى ما في ربيعها في الخريف أو ما في خريفها في الربيع لم يقع من النفوس ذلك الموقع ولا

---

(١) القمر ٤٩

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم -٢٠٨/١

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم.٢٠٨/١

استطابته واستلذته ذلك الالتذاذ ولذا نجد المتأخر منها مملولاً محلول الطعم . ولا يُظنُّ أن هذا لجريان العادة المجردة بذلك فإنما جرت به العادة لأنه وافق الحكمة والمصلحة التي لا يخل بها الحكيم الخبير"[1].

ولعل الواقع الآن يؤكد ذلك فما أحدثه الإنسان من أساليب ووسائل في الزراعة وما أدخله عليها من كيماويات وغيرها ليستنبت نبات الشتاء في الصيف ونبات الصيف في الشتاء فلا تجد له طعما من ناحية بالإضافة إلى أنه قد أضرّ بالإنسان من ناحية أخرى وليس أدل على ذلك من الأمراض الكثيرة التي انتشرت بين الناس والتي أكد كثير من العلماء أن سببها يرجع إلى ما أُدخل على الزراعة من أساليب واستخدام مواد تضرّ بالإنسان.

٣- زيادة نتَّاج الحيوان:

ومما يلاحظ أيضا في فصل الشتاء زيادة نتاج الحيوانات سواء من ناحية التكاثر والتناسل أو من ناحية إدرار الألبان بكميات كبيرة كما نلاحظ أن الحيوانات تنمو وتقوى أبدانها في الشتاء عنه في فصل الصيف ولقد أشار ابن القيم إلى ذلك حينما قال: "واشتداد أبدان الحيوان وقوتها وتزايد القوى الطبيعية واستخلاف ما حللته حرارة الصيف من الأبدان". [2]

٤- حفظ الأطعمة:

ومن الملاحظ أيضًا أن برودة الجو في الشتاء تساعد كثيرًا على حفظ الأطعمة والمواد الأخرى لفترات طويلة دون أن تفسد على عكس فصل الصيف فحرارته تتسبب في فساد كثير من الأطعمة والمواد الأخرى وبذلك تفوت على الناس مصالح كثيرة .

ولعل كل ما تقدم ذكره من حِكم وفوائد البرد يعتبر مظهرًا من مظاهر البركة في فصل الشتاء والتي أشار إليها عبد الله بن مسعود في معرض حديثه عن فصل الشتاء فكان عندما يأتي الشتاء يقول **(مرحبًا بالشتاء تنزل فيه البركة).** [3]

٥- البرد مُنبِّه الإنسان:

البرد وإن كان قاسيًا إلا أن من فوائده أنه منبّه للإنسان فمن الملاحظ أن الإنسان كلما زاد إحساسه بالدفء كان أقرب وأدعى إلى الخمول والكسل وقد يؤدى إلى النوم على عكس ما إذا كان الإنسان يشعر بشيء من البرد فإنه لا يستطيع أن ينام وكلما زاد إحساسه بالبرد كلما زادت درجة التنبه والتيقظ عنده فيظلُّ نشيطًا في معظم أوقاته ولذلك دائمًا تلاحظ أن إنتاج الإنسان يزيد في الشتاء عن الصيف.

---

[1] مفتاح دار السعاد ومنشور ولاية العلم والإرادة ة ٢٣٠/١

[2] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم ٢٠٨/١

[3] لطائف المعارف فيما لمواسم العام من وظائف ٣٥٦/١

ولعله من الحِكم من وراء جعل الدراسة بشكل عام في فصل الشتاء لأن الطلاب يكونون في أعلى درجات التركيز والتنبه ، وفى أوجِّ نشاطهم البدني والذهني ولذلك كان الصالحون من العُبَّاد والنُسَّاك كثيرًا ما يتيقظون بالبرد في عباداتهم فجاء أن سيدنا صفوان بن سليم كان يصلي في الشتاء على سطح البيت وذلك في تهجده بالليل.

وكان بعضهم يصلي في الشتاء في ثوب واحد حتى يشعر بالبرد فيمنعه البرد من النوم ، ووصل الأمر بأحدهم أنه كان يغمس نفسه في الماء البارد إذا شعر بالنعاس. [1]

(١) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من وظائف ٣٧٠/١

المبحث الثاني

ما ينبغي عنـــــد البرد

هناك بعض الأمور التي ينبغي عملها عند دخول البرد وهي كالتالي:

أولًا: اتقاء البرد:

فيجب على الإنسان أن يتقي برد الشتاء بكافّة الوسائل حتى لا يكون عرضة لكثير من الأمراض ولذلك كان الإمام على رضي الله عنه إذا أتى الشتاء يقول: "**اتّقوا الشتاء في أوله وتعرضوا له في آخره فهو يفعل بالأجساد كما يفعل بالأشجار أوله محرق وآخره مورق**". [١]

كذلك كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا أتى الشتاء خطب في الناس محذرًا إياهم من البرد فكان يقول: (**أيها الناس إن الشتاء قد حضر وهو عدو لكم فتأهبوا له أهبته من الصوف والخفاف والجوارب واتخذوا من الصوف شعارًا ودثارًا فإن البرد عدو سريع دخوله بعيد خروجه**). [٢]

أما عن كيفية اتّقاء البرد فله وسائل كثيرة منها:

١- الملابس الثقيلة:

فينبغي للمسلم أن يتخذ الملابس الثقيلة من الأصواف والجلود وغيرها مما سخّره الله تعالى لنا من الأنعام يقول تعالى " **وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**" [٣] لاحظ أن أول الفوائد التي ذكرها الله تعالى في الآية (الدفء) رغم أنّها من ضمن منافع الأنعام إلا أنه أفردها بالذكر أولًا لأهميتها.

ثم قال أيضًا في معرض حديثه عن امتنانه ببعض نعمه على خلقه " **وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ**" [٤]

٢- البيوت:

فمن أهم نعم الله علينا التي تستوجب الشكر أن جعل لنا بيوتًا تقينا من برد الشتاء قال تعالى: **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ**)" [٥] ثم قال في ختام الآية معقبًا على كل هذه النعم معلّلًا إياها بقوله: " **كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ**

---

(١)لطائف المعارف فيما لمواسم العام من وظائف ١/٣٧٠مو
(٢) المصدر السابق
(٣) النحل ٥
(٤) النحل ٨١
(٥) النحل ٨٠

لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ " [1] أي لعلّنا نُسلم لله ونشكره على هذه النعم وكلمة (تسلمون) إما من الإسلام وإما من السلامة أي من كثير من الأمراض التي قد تصيب الانسان لو أن الله تعالى لم يسخر له هذه النعم ويؤيد ذلك قراءة ابن عباس (تَسْلَمون) بفتح التاء وسكون السين وفتح اللام. [2]

٣- الأغطية:

فإن مما سخّره الله تعالى لنا ليقينا من البرد الأغطية بكافة أشكالها وقد أشار إلى ذلك في قوله تعالى: " **وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ** (٨٠)" [3]

٤- المدافئ:

فمن نعم الله علينا في فصل الشتاء المدافئ سواء أكانت طبيعية أو صناعية فكلاهما نعمة تستوجب الشكر.

أما الطبيعية وتكون من الحطب وأغصان الشجر فسبحان من جعل لنا من الشجر الأخضر نارًا!

وأما الصناعية فسبحان من هدى عقل الانسان وعلّمه كيف يصنع هذه المدافئ!

٥- الجلد:

ولا أقصد هنا جلود الأنعام ولكن جلد الإنسان فمن رحمته تعالى بخلقه جعل لهم من جلودهم وسيلة من وسائل الوقاية من البرد فإنك لو تأملت طبيعة جلد الإنسان لوجدت أن من إبداع الله تعالى أن جعل هذا الجلد بمثابة تكييف طبيعي صيفًا وشتاءً.

فقد أثبت العلم الحديث أن جلد الإنسان ينكمش بشكل كبير في الشتاء خاصةً عند البرد الشديد وعندها تضيق مسام الجلد فلا تسمح بدخول الهواء البارد إلى الجسم مما يقلّل من إحساس الإنسان بالبرد ولولا ذلك الانكماش لما استطاع الجسم أن يتحمل برودة الجو، ولعل هذا يفسر لنا سرعة التئام الجروح في الشتاء عنها في الصيف الذي يتفتح فيه الجلد وتتسع مسامه ليسمح بشيئين هما:

أ) دخول نسمة هواء إلى الجسم مما يُقلّل الإحساس بحرارة الجو.

ب) خروج نسبة كبيرة من المياه من داخل الجسم في صورة عرق لكثرة تناول الإنسان لكميات كبيرة من المياه إما في صورة مياه عادية أو مشروبات أخرى كالعصائر وخلافه.وهذا العرق أيضًا يرطب الجلد ويقلّل من الإحساس بالحر.

---

(١) النحل ٨١

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ص ٥٩١ دار طيبة وقال رواه عبيد القاسم بن سلام عن عباد وأخرجه ابن جرير من الوجهين.

(٣) النحل ٨٠

٦- غدة تحت المهاد:

يقرر الأطباء أن جسم الإنسان لا بد أن يكون درجة حرارته ثابتة عند درجة حرارة معينة صيفًا وشتاءً وإذا حدث زيادة أو نقصان اعتلَّ الجسم والإنسان منا لا يستطيع التحكم في ذلك ولذلك اكتشف العلماء أن في الجسم غدة مسئولة عن تنظيم الحرارة داخل الجسم بحيث لا ترتفع في الصيف لحرارة الجو ولا تنخفض شتاءً لبرودة الجو. (١)

فسبحان من خلق هذه الغدة وأوكل لها هذه المهمة !

كل هذه وسائل سخَّرها الله تعالى لوقاية الإنسان من البرد.

ثانيًا: مما ينبغي عمله عند البرد: تجنُّب مواطنه:

ولا يجب أن يكتفي الإنسان للوقاية من البرد بهذه الوسائل فقط بل يجب عليه أن يتجنّب المواطن التي يشتد فيها البرد قدر المستطاع حتى لا يكون عرضة للإصابة بأمراض البرد وما أقساها على الإنسان وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك بقول عمر بن الخطاب "**فإن البرد عدو سريع دخوله بعيد خروجه**".

كذلك يجب على الإنسان أن يتجنَّب المواطن التي يغلب على الظن فيها الإصابة بأمراض البرد.فإن أصيب بشيء منها فليلزم مكانه قدر المستطاع حتى لا يساعد في انتشار المرض والإسلام يحذر من ذلك فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**لا يوردنَّ مُمرِضٌ على مُصِحٍّ.** (٢)

فلا يُخالِط المريضُ الأصِحَّاءَ والعكس. فالوقاية خير من العلاج، انظر إلى هذا السبق الصحي الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم منذ ما يزيد على ألف وأربعمائة عام في التحذير والوقاية من الأمراض وأحدث طرق الحجر الصحي .

ورغم كل هذه التحذيرات والتوجيهات فقد يحدث الخطأ ويصاب الإنسان ببعض أمراض الشتاء "**فلا يمنع حذرٌ من قدر**".

ورغم أن الأمراض بوجه عام تعتبر من أنواع الابتلاء الذي يحدث للمسلم فإن رضي وصبر أُجر على ذلك أجرًا عظيمًا بل إن المرض أحيانًا قد يكون سببًا في رفع درجة المؤمن إلى مرتبة لم يكن لِيَصِلَ إليها بصلاة ولا صيام ولا سائر العبادات يقول صلى الله عليه وسلم: "**إن الرجل يكون له المنزلة عند الله لا يبلغها بعمل فلا يزال يُبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك**". (٣) إلا أن لأمراض الشتاء أجرًا آخر

---

(١) آيات الله في تنظيم حرارة الجسم أ. د. عبد المعبود عمارة منبر الإسلام رمضان ١٤٢٤ ص٦٨ وما بعدها بتصرف.
(٢) البخاري رقم ٥٤٣٧
(٣) رواه الحاكم ٤٩٥/١ رقم ١٢٧٤ وقال صحيح الإسناد.

ولنضرب لذلك بمثالين:

أ- العطاس:

هو عَرَض من أعراض نزلات البرد التي تكثر في الشتاء وهي وإن كانت تظهر في الأنف إلا أن الجسم كله يتأثر بها فتصيبه بحالةٍ من الإعياء التام وقد يُقْعِد الإنسان عن الحركة ويُلزِمه الفراش ولأن كل عضو في الجسم يتأثر به ويتألم بسببه من هنا يعظُم الأجرفعلى قدر الألم يكون الأجر

.كذلك فإن **العطاس له فوائده الصحية والدينية منها:**

من الجانب الصحي:

قال العلماء إن العطاس عبارة عن زفير قوي ومفاجئ يخرج معه الهواء بقوة من الرئتين عن طريق الأنف والفم معًا فيجرف معه كل ما في طريقه من الغبار والميكروبات وكذلك الهوام [١] التي تسربت للجسم أثناء المرض لأن الجسم في هذه الحالة تضعف مناعته فيكون عرضة للميكروبات والفيروسات فتأتي العطسة فتطرد كل ذلك من الجسم . فالعطاس رحمة من الله للعبد هذا من الجانب الصحي.

أمَّا الجانب الديني:

بعد أن تبين أن الله تعالى يكرم الإنسان بالعطاس الذي يطرد الأذى عن المسلم – وهذه نعمة تستوجب الشكر من العبد – ولذلك يستحب للمسلم أن يحمد الله بعد العطاس ولقد سنَّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: "**إذا عطس أحدُكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله فإذا قال يرحمك الله فليقل ويهديكم ويصلح بالكم**" [٢] تأمل الفوائد العظيمة والتي يُحَصِّلها المؤمن من العطاس!

إذن العطاس فيه خيرٌ كبيرٌ للمؤمن ولذلك فإنَّ الله تعالى يحب العطاس فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب**". [٣]

---

(١) جمع هامة وهم أعوان الشيطان.
(٢) البخاري رقم ٦٢٢٤
(٣) البخاري في الأدب المفرد رقم ٦٢٢٣

ب - الحُمّى:

وقد عرَّفها العلماء بأنها: سخونة تكون بين الجلد والعظم ترتفع معها درجة حرارة الجسم عن المعتاد وهي وإن كانت تأتي في كل العام إلا أنها تكثر في الشتاء لأن من أهم أسبابها نزلات البرد.

أثرها في تكفير الذنوب:

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة يومًا فسمعها تقول: "**لا بارك الله في الحمى فقال صلى الله عليه وسلم: لا تسبُّوا الحمى فإنها تأكل الخطايا كما تأكل النار الحطب**". (١)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**الحمى حظ المؤمن من النار**". (٢)

وقد وصل الأمر بأحد الصحابة وهو أبو هريرة رضي الله عنه أنه كان يحب الإصابة بالحمى لما سمع من أثرها في تكفير الذنوب فكان يقول: "**ما من مرض يصيبني أحبُّ إليَّ من الحمى لأنها تدخل كل الأعضاء والمفاصل فتطهر كل الجسم من الأسقام والذنوب**". (٣)

ولعل أبا هريرة قد وضَّح السر في أن الحمى تكفر ذنوب سنة لأنها تدخل كل مفاصل الجسم وعددها ثلاثمائة وستون مفصلًا وهي بالضبط تساوي عدد أيام السنة بالتقويم الهجري.

هكذا نرى أن الشتاء حتى في أمراضه ليس مكفّرًا للذنوب فقط بل رافعًا للدرجات ومُزيدًا للحسنات.

وليس معنى هذا أن يتمنى المسلم لنفسه هذه الأمراض حتى يُؤجَر عليها ولكننا نقول إذا حدث وأصيب المسلم بهذه الأمراض فإننا نبين الوجه المشرق للمرض ولكن الأصل أن يقي الإنسان نفسه من الأمراض ولا يتمنى لنفسه ذلك بل ويسأل الله دائمًا العافية له ولإخوانه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان من دعائه: "**اللهم إنا نسألك العفو والعافية**".

---

(١) الطبراني في الأوسط رقم ٦٢٤٨ ط دار الحرمين.
(٢) الطبراني في الأوسط ط دار الحرمين ٢٩٥/٧
(٣) المرض والكفارات لابن أبي الدنيا ١٨٦/١ رقم ٢٤٠ وأورده البخاري في الأدب المفرد.

فواكه الشتاء علاج لأمراض الشتاء

ورغم صعوبة أمراض الشتاء إلا أن الحكمة الإلهية والرحمة الربانية اقتضت أن يجعل من فواكه وخضروات الشتاء علاجًا لكثير من أمراض الشتاء ومصدرًا غذائيًا مفيدًا للجسم يعوّضه عما يسببّه البرد من أضرار له ومنها ما هو وقاية للجسم من الإصابة بأمراض الشتاء.

ولذلك رأيت تتمَّة للفائدة أن أذكر بعض الفواكه والخضروات الشتوية وتأثيرها في أمراض الشتاء وقايةً وعلاجًا وغذاءً.

بداية يشير الأطباء إلى أن أغلب فاكهة الشتاء من الحمضيات التي تحتوي على فيتامين (سي) والذي يعتبر الطبيب الأول لأمراض الشتاء

من هذه الفاكهة:

١- الليمون:

- ينصح الأطباء بتناول عصير الليمون خاصة في الشتاء لأن له خاصية قتل الميكروبات والفيروسات التي تنشط كثيرًا في الشتاء.
- كما أنه مفيد للسعال والتقلصات.
- كما أنه طارد للديدان.
- كما أنه يحتوي على فيتامين أ، ب، ج.
- كما أنه مفيد جدًا لأمراض الحنجرة ونزلات البرد والزكام والشعب الهوائية.[١]

٢- البرتقال:

البرتقال من أشهر فواكه الشتاء وله فوائد عديدة منها ما هو علاجي ،ومنها ما هو وقائي، ومنها ما هو غذائي.

أمَّا الجانب الوقائي فيتمثل في أنه:

- مفيد جدًا للوقاية من أمراض الجهاز التنفسي بشكل عام.
- لأنه من الحمضيات التي تعمل على زيادة مقاومة الجسم للأمراض ورفع مستواه الصحي.

---

(١) العلاج بالعنب والليمون والبرتقال بروفيسور/ نيكولاي كايو ترجمة أ. جمال خليفة بتصرف.

- منشِّط قوي للدورة الدموية.
- عصيره يعمل على تقوية الجهاز الهضمي فيساعد في سهولة الهضم لأنه مُدِرٌ للعصارات الهضمية. (١)

- **أما الجانب الغذائي فيتمثل في أنه:**

- مُقوِّي عام للعظام لاحتوائه على نسبة من الكالسيوم.
- مفيد جدًا للرشاقة خاصّةً بعد أداء التمارين الرياضية أو أي نشاط حركي لاحتوائه على نسبة من المعادن والنشويات.
- يوجد به أملاح معدنية مهمة للجسم مثل الكبريت والفسفور والكالسيوم والنحاس وفيتامين (c-b-b2). (٢)

- **أما الجانب العلاجي فيتمثل في أنَّه:**

- مفيد جدًا في حالات السعال والإنفلونزا والزكام.
- عصيره يزيل الحُمَّى ويُقَلِّل من درجة الحرارة المرتفعة الناتجة عن الحُمَّى.
- طارد للبلغم ومنظف للبلعوم والحنجرة.
- منظف للكلية والمثانة.
- يصفي الدم ويقتل بعض أنواع الديدان.
- ملين ومزيل لفضلات المعدة والأمعاء كما أنه طارد للغازات.
- يساعد في تفتيت الحصوات وتذويبها ويطرد الرمل من الجسم.
- مقوي ومهدئ للأعصاب ومفيد في ارتفاع ضغط الدم.
- يساعد على التئام الجروح.
- يُقَلِّل من الدهون.
- نافع في الأمراض التناسلية والزهرية.
- مفيد في حالات التهاب المفاصل والنقرس والروماتيزم. (٣)

---

(١) العلاج بالعنب والليمون والبرتقال بروفيسور/ نيكولاي كايو ترجمة أ. جمال خليفة بتصرف.
(٢) العلاج بالعنب والليمون والبرتقال بروفيسور/ نيكولاي كايو ترجمة أ. جمال خليفة بتصرف.
(٣) البرتقال غذاء ودواء للبروفيسور الإيطالي نيكولاي كايو ترجمة أ/ جمال خليفة.

وغير ذلك من الفوائد التي لاتكاد تحصى حتى قال الأطباء (إن وجود قفص من البرتقال في البيت بمثابة صيدلية طبيعية لمعالجة الأمراض).

وهناك مثل عربي شهير يقول: (**لا وجود للصحة والسلامة في مكان لا توجد فيه البرتقالة**).

٣- **اليوسفندي:** وهي ثمرة تشبه البرتقالة من حيث الطعم والفائدة لكنها تتميز بأنها مهدئة للأعصاب، ولذلك تنصح إحدى الدراسات بتناوله قبل النوم.

- كما أن ثمرة اليوسفندي تحتوي على نسبة من فيتامين (ج) مثل البرتقال إلا أنها تحتوي على مادة البرونز التي تساعد على الاسترخاء.
- كما أنها تختلف عن بقية الموالح لأنها لا تسبب إرهاق للأمعاء نظرًا لسهولة هضمها.
- كما أنه مفيد جدًا لمن يرغبون في إنقاص وزنهم أو المحافظة عليه لأنه يحتوي على ٤٤ سعرًا حراريًا فقط لكل ١٠٠ جم.

كما أن هناك فواكه أخرى مفيدة أيضًا لأمراض الشتاء مثل الجوافة ثمرة وأوراقًا، والكستناء والبطاطا، والشمندر أو البنجر، ومن الخضروات السبانخ والكرفس الذي له أثر كبير في علاج كثير من أمراض البرد كما يستخدم ماؤه كغرغرة للحلق واللوزتين.

فالحمد لله الذى جعل لنا من فواكه وخضروات الشتاء علاجًا ووقاية من أمراض الشتاء وهكذا نرى أن الشتاء حتى فى فاكهته ونباتاته مفيدًا للإنسان. [١]

ثالثًا مما ينبغي عند البرد: الدعاء

من الأشياء التي ينبغي على المسلم المداومة عليها عند البرد هي الدعاء أن يذهب الله عنه البرد ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لعلي بن أبي طالب ويقول: "**اللهم أذهب عنه الحر والبرد**" [٢] فكان رضي الله عنه يلبس ثياب الشتاء في الصيف وثياب الصيف في الشتاء وعلى مثل هذا النهج يجوز للمسلم أن يدعو بهذا الدعاء لنفسه ولغيره من المؤمنين ، كما لا ننسى أن يدعو المسلم حينما يشعر بالبرد أن يقيه الله برد وزمهرير جهنم فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إذا كان يوم شديد البرد فإذا قال العبد: لا إله إلا الله ما أشدّ برد هذا اليوم اللهم أجرني من زمهرير جهنم قال الله لجهنم: إن عبدًا من عبادي قد استجار بي من زمهريرك أشهدُكِ أنّي قد أجرته**" [٣] هكذا يمكن للمسلم أن يحول مجرد إحساسه بالبرد إلى عبادة.

---

(١) الغذاء دواء د/ أحمد الوائلي ص ٤٤ بتصرف.
(٢) النسائي في الكبرى رقم ٨٤٨٣ ص٧ ص ٤٦٣.
(٣) رواه البيهقي رقم ٣٧٨-٤١١/١

المبحث الثالث

أعمال يتضاعف ثوابها عند البرد

هناك أعمال يقوم بها المسلم في كل أوقاته ويؤجر عليها إلا أنه إذا أدَّاها في البرد الشديد يزيد ثوابها ويتضاعف أجرها ولنأخذ مثالًا على ذلك:

الوضوء:

مما لا شكَّ فيه أن للوضوء فضلًا كبيرًا في الإسلام في كل حال فهو عمل يحبه الله ورسوله لأنه يجعل المؤمن طاهرًا في أغلب أوقاته، كما أن الوضوء يقي المسلم من أشياء كثيرة وأمراض خطيرة قد تفتك بالمسلم مثل الحسد ووسوسة الشيطان ومس الجانّ. ناهيك عن الفوائد الصحية البدنية للوضوء والتي لا تكاد تحصى.

من هنا يستحب للمؤمن أن يكثر من الوضوء ليس عند الصلوات فقط بل وفي غير أوقاتها فمثلًا إذا خرج من بيته أو عاد إلى بيته أو أوى إلى فراشه أو قرأ القرآن حتى إذا غضب فإن الوضوء من أهم الأشياء التي تُذهب الغضب عن المؤمن لقوله صلى الله عليه وسلم: "**إذا غضب أحدكم فليتوضأ فإن الغضب من الشيطان والشيطان من النار ولا يُطفئ النار إلا الماء**". [1]

كما أن الوضوء والمداومة عليه يرفع درجة المؤمن عند الله يوم القيامة فعن عبد الله بن بريده عن أبيه قال: أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا فدعا بلالًا فقال: "**يا بلال: بمَ سبقتني إلى الجنة؟ إني دخلت الجنة البارحة فسمعت خشخشتك أمامي، فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين وما أصابني حدث قط إلا توضأت عنده فقال صلى الله عليه وسلم: بهذا**". [2] أي بهذا السبب وهو المداومة على الوضوء استحقّ بلال هذه المنزلة.

وإذا كان للوضوء في أي وقت كل هذا الفضل فإن الوضوء عند مكابدة البرد الشديد له فضل أكبر وأجرٌ أعظم. فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: "**جاءني ربي في المنام وقال يا محمد: أتدري فيمَ يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا أدري، فوضع يده على كتفي فأحسست ببرد أناملة في صدري فعلمت ما في السموات والأرض ثم سألني: أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم في الدرجات والكفارات، قلت وما الدرجات؟ قال: إطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام، قلت وما الكفارات؟ قال: مشي الأقدام إلى الحسنات وإسباغ الوضوء على الكريهات وانتظار**

---

(١) سنن أبي داود من حديث عطية السعدي ١٧٠/٣ كذلك ط المكتبة العصرية ٢٤٩/٤

(٢) رواه الحاكم في المستدرك رقم ٤٠٥ -٣١٣/١

الصلوات بعد الصلوات [١] وفي رواية "**إسباغ الوضوء في السَبُرات**" [٢] والسبرة هي البرد الشديد.

وفي رواية أخري زاد "**ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه**". [٣]

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**رجلان من أمتي يقوم أحدهما من الليل فيعالج نفسه إلى الطهور وعليه عقد فيتوضأ فإذا وضّأ يديه انحلّت عقدة وإذا وضّأ وجهه انحلّت عقدة وإذا مسح رأسه انحلّت عقدة فيقول الرب للذين وراء الحجب: انظروا هذا عبدي يعالج نفسه ما سألني عبدي هذا فهو له**". [٤]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن الله يضحك إلى ثلاثة نفر: رجل قام من الليل فأحسن الطهور ثم صلى ورجل نام وهو ساجد، ورجل في كتيبة منهزمة على فرس جواد لو شاء أن يذهب لذهب**". [٥]

وها هو سيدنا عمر بن الخطاب يوصي ابنه فيقول: "**يا بني عليك بخصال الإيمان قال وما خصال الإيمان؟ قال: الصوم في شدة الحر أيام الصيف، وقتل الأعداء بالسيف، والصبر على المصيبة وإسباغ الوضوء في اليوم الشاتي، تعجيل الصلاة في يوم الغيم، وترك ردغة الخبال** [٦]". [٧]

---

(١) رواه الترمذي رقم ٣٢٣٣-٣٦٦/٥
(٢) رواية للبزار رقم ٢٦٦٨-١١٠/٧
(٣) رواه الترمذي رقم ٣٢٣٤
(٤) رواه أحمد رقم ١٧٤٩٣-١٥٩/٤
(٥) رواه ابن ماجة رقم ٣٥٤١-٣٠٢/٢
(٦) ردغة الخبال: الخمر.
(٧) أخرجه ابن ماجه كتاب الزهد باب الورع والتقوى رم ٤٢١٧ وقال: إسناده حسن.

المبحث الرابع

بمَ يُذكِّرنا البرد؟

أولًا: بالفقراء:

مما لا شكّ فيه أن الإنسان عندما يشعر بالبرد فإنه يهرع إلى الملابس الثقيلة والأغطية ويأوي إلى مسكن يقيه هذا البرد فإذا وجد ذلك فتلك نعمة من الله تستوجب الشكر

ولكن لكي يشكر الإنسان ربه حق الشكر على نعمة أنعمها عليه فإنه يحتاج أن يرى ويشعر بهذه النعمة ولن يراها إلا إذا رأى من حُرِم هذه النعمة فالصحيح مثلًا لا يرى نعمة الصحة إلا إذا رأى مريضًا وعندها يشعر بما هو فيه من النعمة فيشكر الله عليها ومن هنا فإن أول ما يجب على المؤمن أن يتذكره عند البرد أن هناك شرائح كثيرة من المجتمع لا يجدون من الملابس والأغطية ما يقيهم لأواء البرد وقسوته بل وقد تجد منهم من لا يجد ما يستر به عورته.

فإذا أويت إلى بيتك فتذكَّر من ليس له بيت أو من له خيمة ينتقل بها من مكان إلى مكان وإذا كان لبيتك جدران وسقف فتذكَّر من يسكن كوخًا صغيرًا أو حجرة إن وجد لها جدرانًا لا يجد لها سقفًا، وإن وجد سقفًا فما أكثر الفروج والثقوب فيه، وإذا أويت إلى فراش وثير وغطاء ناعم فتذكّر من يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، ولا تعجب من ذلك فهناك نماذج أصعب من ذلك بكثير.

وأسوق لك مثالًا على ذلك مأساة امرأة وطفلها وهي قصة حقيقية حدثت بالفعل وفي زماننا هذا وهي قصة امرأة كانت تعيش مع طفلها الصغير الذي لا يتعدى الخامسة من عمره في حجرة صغيرة فوق سطح أحد المنازل هذه الحجرة لها أربعة جدران غير أنها لا سقف لها، ورغم ذلك كانا يعيشان فيها في أهنأ حال وكانا يتمتعان بحالة من الرضا لا مثيل لها إلا أن أكثر ما كان يزعجهم هو فصل الشتاء حيث يتلقون موجات البرد والسقيع فيُكسّر عظامهم وذات مرة هطلت الأمطار بغزارة وبما أن الحجرة لا سقف لها فلم يكن لديهم ما يحول بينهم وبين المطر حتى امتلأت ملابسهم بالماء ولم تعبأ المرأة بكل ذلك إلا أن أكثر ما كان يؤلمها ويزعجها بل ويُقطِّع نياط قلبها هو أن ترى صغيرها يرعد أمامها من البرد والماء يملأ ملابسه وهي عاجزة عن أن تفعل شيئًا وبعد تفكير عميق هداها تفكيرها إلى حيلة غريبة وعجيبة فرأت أن تخلع باب الحجرة ثم تضعه مائلًا على أحد جدران الحجرة ثم خبَّأت طفلها وراءه ووقفت هي تتلقى قطرات المطر تنزل عليها كأنها طلقات من الرصاص تصيب كل مكان في جسدها وكأنها تُحدِث ثقبًا في جسدها إلا أنها لم تكن تشعر بذلك خاصةً بعد أن اطمأنت على صغيرها خلف الباب الذي رأته يبتسم وتعلو وجهه ابتسامة ممزوجة بالسعادة والرضا هذه الابتسامة كانت لها بمثابة لحاف من

الصوف أو من الحرير التحفت به الأم شعرت معه بدفء لم تكن لتشعر به لو أنها كانت قد التحفت بألحفة الدنيا كلها.

لكن الأعجب من ذلك هو الرضا الذي كانا يتمتعان به رغم ما هم فيه من العنت هذا الرضا الذي عبَّر عنه الطفل الصغير بعبارة طريفة وعجيبة حينما قال لأمه بتلقائية وبعفوية: "يا ترى الناس اللي مش عندهم باب زيِّنا بيعملوا إيه في المطر ده؟"

تأمَّل هذه العبارة رغم عفويتها إلا أنها تحمل في طياتها الكثير والكثير من معاني الرضا والقناعة بل والغِنى فالطفل لا يشعر أنهم أقل وأفقر الناس – وهم كذلك – ولكنه يشعر أنهم أغنى من أناس كثيرين لمجرد أنهم يملكون بابًا، هذه بالفعل ليست قصة خيالية ولكنها حدثت بالفعل وما أكثر هذه النماذج في مجتمعاتنا.

لهذا كله أريدك أيها المسلم عندما تشعر بالبرد أن تتذكَّر هؤلاء فهذا من مقتضيات الإسلام فالمسلم يجب أن يكون إيجابيًا يقول صلى الله عليه وسلم: "**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**". [١]

واعلم أن تذكرك لإخوانك الفقراء يحملك على شكر النعمة التي أنت فيها فيحفظ الله عليك النعمة ويزيدها لك يقول تعالى: " **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** (٧)". [٢]

وأيضا يحملك على مساعدة هؤلاء الفقراء بالتبرع لهم إما بفضل ملابس عندك لا تحتاج إليها أنت وأهل بيتك - وما أكثرها عندنا- وإمَّا بشراء ملابس جديدة لهم

ولماذا لا يكون عملًا جماعيًا وبشكل دوري؟ لماذا لا نقوم بحملة في بداية كل شتاء تحت شعار (**بطانية لكل فقير**) وحملة أخرى تحت شعار (**ملابسك القديمة عند الفقير جديدة**)؟

كل هذا وإن كان واجبًا على كل مسلم إلا أنَّ الله تعالى يَعِد من يعاون أخاه المسلم بالعون منه تعالى يقول صلى الله عليه وسلم: "**والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه**" [٣]وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: "**ما من مسلم يكسو مسلمًا إلا كان في حفظ الله عزوجل ما دامت عليه منه رقعة**" [٤]هذا في الدنيا أما في الآخرة فانتظر الجزاء الأوفى على ذلك فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**من كسا مؤمنًا على عريٍ كساه الله من خضر الجنة**" [٥]

---

(١) الطبراني في الأوسط رقم ٧٤٧٣-٤ /٢٧٠ دار الحرمين ٠٠
(٢) إبراهيم ٧
(٣) صحيح مسلم باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن حديث رقم ٢٦٩٩
(٤) الترمذي رقم ٢٦٣٨-٣٢٠/٩ وقال الحاكم صحيح الإسناد.
(٥) الترمذي رقم ٢٦٣٧-٣٢٠/٩

وقفوهم إنهم مسئولون:

واعلم بعد كل ما سبق ذكره أنَّك ستُسأل عن هؤلاء يوم العرض على الله فأعدَّ الجواب من الآن ولا تقل إني لم أعلم بهؤلاء فإنك حينئذ تحمل ذنبًا آخر ووزرًا أكبر فلله در القائل: **إن كنت تدري فتلك مصيبة - وإن كنت لا تدري فالمصيبة أكبر**

لأنك لم تكلف نفسك حتى عناء السؤال عن هؤلاء ومعرفة حالهم وحتى إن كنت لا تدري فها أنا ذا أضعك أمام هؤلاء وأخبرك بحالهم فابحث عنهم ونقّب بنفسك حتى لا تقف أمام الله غدًا فقيرًا لا عذر لك شارك هؤلاء عمليًا بالتبرع لهم أو على الأقل وجدانيًا بالسؤال عنهم، وسأسوق لك مثالًا يجمع بين المشاركة العملية والوجدانية معًا:

حكاية وزير:

فلقد جاء أن أحد الوزراء رُفع إليه أن امرأة وأطفالها الأربعة يسكنون كوخًا صغيرًا على شاطئ البحر وقد أصابهم فقر شديد حتى أنهم لا يجدون ما يقيهم البرد في الشتاء ناهيك عما أصابهم من الجوع فأقسم ألاّ يهنأ بعيش حتى يرفع عنهم ما هم فيه فأرسل إليهم رسولًا من عنده بما يحتاجونه من الطعام واللباس ولم يكتف بذلك ولكنه خلع عنه ملابسه وأقسم ألا يطعم شيئًا ولا يستدفئ بلباس حتى يرجع الرسول ويخبره بخبرهم. فمضى الرسول وأطعمهم وكساهم ثم عاد إلى الوزير فوجده يرعد من البرد فأخبره بما صنع وعندها لبس الوزير ملابسه.

هذه المشاركة العملية والوجدانية واللهِ ما أحوجنا إليها وإلى مثل هذا الوزير في زماننا هذا وفي كل زمان.

ويا حبَّذا لو كان الغطاء والملابس جديدة فإن ذلك بالطبع سيكون أكثر ثوابًا

أولًا: لأنك تقدم لله أفضل ما عندك يقول تعالى: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ**" [1] ويا حبَّذا إن تصدقت بشيء تحبه يقول تعالى: " **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**" [2]

ثانيًا: إن الجديد بالطبع سيمكث عند الفقير مدة أطول من القديم وكلما انتفع الفقير بصدقتك أكبر وقت ممكن زاد ذلك من أجرك وثوابك لقوله صلى الله عليه وسلم: "**ما من مسلم يكسو مسلمًا إلا كان في حفظ الله عزوجل ما دام عليه منه رقعة**". [3]

ولقد جاء أن أحد السلف رضوان الله عليهم وهو على فراش الموت إذ سمعه أصحابه يقول "**ليته كان جديدًا، ليته كان كاملًا، ليته كان طويلًا**" فلما مات قال أصحابه: فعجبنا من ذلك فلقد عرفناه صالحًا فكيف يرى عند موته وهو يلفظ هذه الكلمات التي كانت

---

(١) البقرة ٢٦٧
(٢) آل عمران ٩٢
(٣) سبق تخريجه.

بمثابة حسرات فرآه أحدهم في منامه ذات ليلة فقال له عجبنا من صلاحك وحسراتك عند موتك فقال له:

أما الأولى: فلقد تصدقت يومًا بثياب كانت عندي وكانت قديمة فلما أطلعني الله على ثواب ما عملت عند موتي تمنيت ألّو كانت جديدة،

أما الثانية: فتصدقت يومًا بنصف رغيف وقد صادف حاجة عند فقير فلما أطلعني الله على ثواب ما عملت تمنيت ألّو كان الرغيف كاملًا،

أما الثالثة: فحملت عجوزًا يومًا إلى المسجد فلما أطلعني الله على ثواب ما صنعت تمنيت ألّو كان الطريق إلى المسجد طويلًا. (١)

واعلم أيضا أنك حينما تتصدق فإنك تتصدق ببعض ما عندك وتستبقي لنفسك الكثير فاعلم تمام العلم أن ما تصدقت به هو الباقي لك عند الله فعن قتادة عن مطرف عن أبيه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ سورة التكاثر ثم قال: "**يقول ابن آدم مالي ومالي، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت**" (٢) وفي رواية "**أو تصدقت فأبقيت**".

ولقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم عائشة يومًا شاة وأمرها أن تذبحها ففعلت وتصدقت بها على الفقراء إلا أنها استبقت منها كتفها فلما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: "**ماذا فعلت بالشاة يا عائشة؟ قالت يا رسول الله ذهبت كلها إلا كتفها فقال صلى الله عليه وسلم: بل قولي بقيت كلها إلا كتفها**" (٣) في إشارة إلى أن ما تصدقت به هو الباقي عند الله.

---

(١) أرشيف ملتقى أهل الحديث ٣١٠/٢٤ وفيه ضعف.
(٢) رواه مسلم رقم ٧٦٠٩-٢١١/٨
(٣) الترمذي في سننه ٦٤٥/٤ رقم ٢٤٧٠ والبخاري في التاريخ الكبير ٢٣٠/٤

نداء من فقير:

ولا أجد من الكلمات ما أختم به كلامي في هذا الصدد إلا هذا النداء والاستغاثة على لسان أحد الفقراء وهو يستغيث من قسوة برد الشتاء

ويقول أخي:

أتدري كيف قابلني الشتـــاء وكيف تكون فيه القرفصـــــاء

وكيف البرد يفعل بالثنـــايا إذا اصطكت وجاوبها الفضـــاء

وكيف نبيت فيه على فراش يجور عليه في الليل الغطـــاء

فإن حلّ الشتـــاء فأدفئوني فإن الفقير آفته الشتـــــــاء

أتدري كيف جارك يـا ابن أم يعاني من البرد كل العنـــــاء

وكيف يداه ترتجفان بؤســاً وتصدمه المذلة والشقـــــاء

يصب الزمهرير عليه ثلجـاً فتجمد في الشرايين الدمـــــاء

خراف الأرض يكسوها عِهنٌ وترفل تحته نعمٌ وشـــــــاء

وللنمل المساكن حين يـــأتي عليه البرد أو يجن عليه المساء

وهذا الآدمـــــي بغيـر دار فهل يرضيك أن يزعجه الشتاء؟

يجوب الأرض من حي لحي ولا أرض تقيه ولا سمـــــاء

معاذ الله أن ترضى بهـــذا وهذا الطفل يصرعه الشـــتاء

أتلقاني وبي عوزٌ وضيـــقٌ ولا تحنو فما كل هذا الجفـــاء ؟

أخي بالله لا تجرح شعـــوري ألا يكفيك ما جرح الشتـــــاء؟

هذا نداء من أخيك الفقير فهل من مجيب ؟!

هكذا يتحول الإحساس بالبرد إلى عمل يقرب من الله تعالى ويستجلب رضاه وهكذا يكون الشتاء ربيعًا للمؤمن يتقلب فيه بين كثير من ألوان الطاعات والقربات.

البرد مثير للجوع

من الظواهر التي نلاحظها جميعًا ونشعر بها في فصل الشتاء هي انفتاح الشهية وشدة الرغبة والإقبال على الطعام بشكل مستمر ويزداد هذا الإحساس خاصة في أوقات البرد الشديد ولقد حاول العلماء كثيرًا دراسة هذه الظاهرة وأسبابها فوجدوا لها عدة أسباب:

١- منهم من قال إن كثرة الحركة والنشاط في الشتاء يساعد على سرعة هضم الطعام ومن ثم تكون حاجة الجسم إلى طعام آخر فيشعر الإنسان بالجوع .

٢- ومنهم من أرجع انفتاح الشهية في الشتاء عنها في فصل الصيف إلى كثرة وتنوع الأطعمة والخضروات – الطبيعية - التي لا تزرع إلا في فصل الشتاء.

٣- ولكن هناك فريقا من العلماء كانوا أكثر دقة فأمعنوا في البحث عن أسباب هذه الظاهرة وفسّروها تفسيرا علميا حيث قالوا: إن الهواء في فصل الشتاء خاصة في البرد الشديد يكون ثقيلًا وذلك لزيادة نسبة الأوكسجين فيه وهذا الأوكسجين من أهم وظائفه أنه يقوم بعملية احتراق الطعام داخل الجسم وبالتالي فكلما زادت نسبة الأوكسجين في الجسم ساعد ذلك على سرعة احتراق الطعام وهضمه في فترة قصيرة ، ومن ثم يحتاج هذا الأوكسجين إلى طعام آخر كي يحرقه ومن هنا تكون حاجة الجسم ورغبته إلى الطعام وهو الإحساس بالجوع الذي نقصده، وهذا التفسير أقرب إلى حد كبير في فهم هذه الظاهرة .

الغريب في الأمر أن ابن القيم قد أشار إلى هذا التفسير العلمي منذ مئات السنين حينما قال "في الصيف تغور البرودة وتهرب إلى الأجواف ولهذا تبرد العيون والآبار ولا تهضم المعدة الطعام الغليظ الذي كانت تهضمه في الشتاء لأنها كانت تهضمه بالحرارة التي سكنت البطون فلما جاء الصيف خرجت الحرارة إلى ظاهر الجسد وغارت البرودة فيه" [١]

وأيّمًا كانت الأسباب فالخلاصة أن الإنسان كثيرا ما يشعر بالجوع في فصل الشتاء

هذا الإحساس بالجوع في حد ذاته له فوائد عديدة صحية ودينية واجتماعية في الدنيا والآخرة وإليك توضيح ذلك:

فوائد الإحساس بالجوع:

أ- أما عن الفوائد الصحية: فممَّا لا يخفى علينا جميعا أن الإنسان منّا كلما قلَّ طعامه خفَّ جسمه وأصبح نشيطًا قادرًا على الحركة على عكس الشبع الذي يُشعِر

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم ٢٠٨/١

بالامتلاء والذي يجلب الخمول والكسل ويعوق الإنسان عن القيام بكثيرٍ من مهامِّه في همَّة ونشاط ولعل هذا يفسر لنا سر توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: "**بحسب ابن آدم لقيمات يُقمن صُلبه فإن كان لابد فاعلًا فثلث لطعامك وثلث لشرابك وثلث لنفسك**" [1]

كذلك فإن التجربة أثبتت أن الإنسان كلما قلَّل من الطعام فإنه يكون في أشد حالات التركيز والصفاء الذهني والحكمة تقول: "**من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه**"، وكان لقمان الحكيم يعظ ابنه فيقول: "**يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة**" [2]

ويقول عمر بن الخطاب: "**إياكم والبَطنة فإنها ثقلٌ في الحياة ونتنٌ في الممات**". [3]

ب- **أما عن الفوائد الدينية**:

فإن للجوع فضلاً كبيراً في الإسلام في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فيتمثل في:

١- **التضييق على الشيطان**:

فمن أهم فوائد الجوع أنه يضعف ويُقَلِّل من سيطرة الشيطان على الإنسان لأن الطعام يكثر من الدم والدم من أهم مجاري الشيطان يقول صلى الله عليه وسلم: "**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**" [4]

٢- **التشبه بالملائكة**:

الملائكة هم خلقٌ من خلق الله مهمتهم هي عبادة الله ليل نهار وهؤلاء الملائكةلا يأكلون ولا يشربون فمن أجاع بطنه لله فإنه يتشبه بالملائكة والمصطفى صلى الله عليه وسلم يقول: "**من تشبه بقومٍ فهو منهم**". [5]

والله تعالى قد ابتلى كثيرا من أنبيائه وأوليائه بالجوع وما ذلك إلا ليرفع من درجتهم ولذلك كان أحد الصالحين إذا اشتد عليه الجوع والمرض كان يقول: "**إلهي لقد ابتليتني بالجوع والمرض وكذلك تفعل بأوليائك فبأي عمل أوْدي شكر ما أنعمت على به**" فهذا الرجل يعتبر الجوع نعمة تستوجب الشكر وكفى أنها تشعرك بالضعف والاحتياج إلى الله تعالى وأنها تُشعرك بقيمة الشبع بعد الجوع فتشكر ربك عليها،

٣- **يُرَقِّق القلوب**: كذلك فإن الجوع يُرَقِّق القلوب والقلب الرقيق قريب من الله على عكس القلب القاس فهو بعيد عن الله كما أخبر بذلك المصطفى صلى الله عليه

---

(١) رواه الترمذي والنسائي ٦٧٣٧ وابن ماجه ٣٣٤٩ وقال الترمذي حديث حسن
(٢) إحياء علوم الدين للغزالي جزء ٣ باب فضائل الجوع وذم الشبع ص ٢١٣ بتصرف.
(٣) إحياء علوم الدين للغزالي جزء ٣ باب فضائل الجوع وذم الشبع ص ٢١٣ بتصرف.
(٤) ابن ماجه ٦٥٧/٢
(٥) شعب الإيمان للبيهقي ط مكتبة الرشدي٤١٧/٢

وسلم ، ولذلك **قيل لأبي ذر يومًا ماذا تحب؟ فقال: ''أحب الجوع، وأحب المرض، وأحب الموت''. فتعجبوا من ذلك فلما سألوه عن ذلك قال: لأني إذا جعتُ رقَّ قلبي وإذا مرضتُ خفَّ ذنبي وإذا متُ لقيتُ ربى''.**

وكان أحد السلف يقول: "**لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء**". [١]

وكان أبو سليمان الداراني يتقرب إلى الله بالجوع وقلة الطعام ويعتبرها عبادة فكان يقول: "**لأن أترك لقمة من عشائي أحب إليَّ من قيام ليلة إلى الصبح فالجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه إلا من أحب**" [٢] وكان سهل بن عبد الله التستري يقول: **''لا أعلم شيئًا أضرّ على طلاب الآخرة من الأكل وقال: وضعت الحكمة والعلم في الجوع ووضعت المعصية والجهل في الشبع''**[٣]

وأما في الأخرة:

١- الشبع يوم القيامة:

فعن أبي جُحيفة رضي الله عنه قال : **تَجَشَّأتُ** [٤] **عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: ''يا أبا جحيفة أقصِر من جشائك فإن أطول الناس جوعًا يوم القيامة أكثرهم شبعًا في الدنيا''.** [٥]

وعليه فإن المفهوم المخالف لهذا الحديث أن أكثر الناس جوعًا في الدنيا هم أكثرهم شبعًا يوم القيامة.

٢- أفضل المنازل:

فعن الحسن بن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**أفضلكم منزلة عند الله يوم القيامة أطولكم جوعًا وتفكرًا في الله سبحانه وتعالى، وأبغضكم عند الله منزلة يوم القيامة كل نئوم** [٦] **أكول** [٧] **شروب** [٨]". [٩]

يقول أحد السلف: "الجوع مفتاح الآخرة، وباب الزهد، والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة"[١]

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ١٦/٣٣٤
(٢) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج٣ باب فضائل الجوع وذم الشبع بتصرف ص ٢١٣
(٣) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج٣ باب فضائل الجوع وذم الشبع بتصرف ص ٢١٣
(٤) التجشؤ: هواء يخرج من الجوف له صوت دليل على الشبع والامتلاء.
(٥) رواه البيهقي: ١٠/٣٢٦
(٦) نئوم: كثير النوم.
(٧) أكول كثير الأكل.
(٨) شروب: كثير الشرب
(٩) رواه السيوطي الجامع الصغير رقم ٢٨٥٦

ويقول أحد السلف: "**الجوع مفتاح الآخرة، وباب الزهد، والشِبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة**"[٢]والحديث عن فضل الجوع حديث طويل ولكن أكتفي بهذا القدر وأرى فيه الفائدة

ج - الفوائد الاجتماعية:

أما عن الفوائد الاجتماعية وهو ما يهمنا في هذا الصدد فإنك إذا شعرت بالجوع يومًا فإنك تهرع إلى الطعام وهنا أريدك أن تتذكر شيئًا هامًا هو أنك إذا كنت تجد الطعام حين تجوع فإن هناك شرائحَ عديدة من المجتمع كثيرًا ما يشعرون بالجوع ولكنهم لا يجدون ما يسد رمقهم فضلًا عن أن يشبعهم

وتذكُر هؤلاء في حد ذاته يحملك على شيئين:

١- **أن ترى نعمة الله عليك فتشكر.**

٢- **مشاركة هؤلاء ومد يد العون لهم :**

ومساعدتهم بما استطعت ولو بمعرفة أخبارهم والسؤال عنهم فالمسلم يجب أن يكون إيجابيًا خاصة فيما يهم إخوانه المسلمين هكذا علّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل إنه يجعل عدم الاهتمام بهم يخرج صاحبه من جماعة المسلمين: "**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**" [٣]

ليس هذا فقط ولكن اعلم أنك ستُسأل عن هذا أيضًا يوم العرض على الله، يقول صلى الله عليه وسلم: "**ما آمن بي؟ قيل من يا رسول الله؟ قال: من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم**". [٤]

٣- **بذل الطعام لهم:**

اعلم أخي المسلم أن إطعام الطعام بوجه عام من أفضل الأعمال التي يحبها الله ورسوله فلقد سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أحب إلى الله قال: "**سرورٌ تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة، أو تطرد عنه جوعًا أو تقضي عنه دينًا**" [٥]فما بالك إذا كان لمن يحتاجه فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**أيما مؤمن أطعم مؤمنًا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مؤمن سقى مؤمنًا على ظمأٍ سقاه الله يوم القيامة من**

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ج ٣ ص ٢٢٢
(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ج ٣ ص ٢٢٢
(٣) رواه الطبراني في المعجم الصغير رقم ٩٠٧ والبيهقي في الشعب رقم ١٠٥٨٦ عن أنس بن مالك.
(٤) رواه البيهقي في الشعب ٩٠٨٩
(٥) رواه الطبراني في الكبير رقم ١٣٤٦٨

الرحيق المختوم وأيما مؤمنًا كسا مؤمنًا على عريٍ كساه الله من حلي الجنة". [1]

كما أن إطعام الطعام من صفات الأبرار فقد عده الله تعالى من صفاتهم بقوله: **"وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا"**[2] كما إنه من أكبر المنجيات يوم القيامة يقول تعالى: **"فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ "** [3] قال المفسرون أن العقبة هي يوم القيامة وأن مما ينجي منها عتق الرقاب وإطعام الفقراء والمساكين.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"من أطعم مؤمنًا حتى يشبعه من سغبٍ أدخله الله بابًا من أبواب الجنة لا يدخله إلا من كان مثله".** [4]

---

(١) رواه الترمذي رقم ٢٤٤٩ شاكر ألباني
(٢) الإنسان ٨، ٩
(٣) البلد ١١-١٦
(٤) رواه الطبراني في الكبير ١٦٥٨٩

ثانيًا البرد يُذكِّر بيوم القيامة

من حكمة الله تعالى ورحمته بخلقه أن جعل لنا في الدنيا مثالًا ونموذجًا مصغرًا لكل ما سيحدث في الآخرة من نعيم وعذاب حتى لا يترك لهم حجة بأنهم لم يعلموا شيئًا عما سيحدث لهم في الآخرة وإذا علموا لم يتصوروا ذلك، وحتى لا يقولوا إن الله قد خاطبنا بما لا نفهمه .

فمثلًا : إذا لم يجعل الله لنا شيئًا في الدنيا اسمه الفاكهة ثم أخبرنا في القرآن بأن في الجنة فاكهة "**وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ**" [1] فإننا حينئذ لن نفهم لأننا لم نر أو نعرف شيئًا اسمه الفاكهة وبالتالي لن نشتاق إلى الجنة ونعمل من أجلها لأن النفس تهفو وتشتاق لما تعرفه وتألفه.

وكذلك إذا لم يجعل لنا في الدنيا زلازل فكيف إذا حذّرنا وخوّفنا فقال: "**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا**" [2] فإننا لن يتحقق لنا التخويف والتحذير لأنه خوّفنا بما لا نعلم، وكذلك صوت الرعد ليكون مثالًا مصغرًا للصيحة التي تصعق جميع الخلائق،

وكذلك جعل لنا حرارة الشمس خاصة في الصيف مثالًا مصغرًا لحر يوم القيامة فإذا كانت هذه حرارتها في الدنيا وبيننا وبينها كل هذه المسافات فكيف حين تدنو الشمس من الرؤوس .

وكذلك حينما جعل لنا قبسًا من النار في الدنيا لا لنستدفئ به أو نقضي به حاجاتنا فقط ولكن أولًا وقبل كل شيء قد جعلها لتذكرنا بنار الآخرة يؤكد المولى تبارك وتعالى هذا المعنى بقوله " **أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ**. [3] وعلى نفس هذا النهج جاء البرد فكما جعل الحروالنار تذكرةً بيوم القيامة ونار جهنم فإن من أهم الحِكم وراء ظاهرة البرد الشديد أنه يذكرنا ببردٍ أشد يصل الى درجة الزمهرير في جهنم والعياذ بالله .

زمهرير جهنم:

ربما يسأل سائلٌ فيقول نسمع كثيرًا أن جهنم هذه حارة شديدة الحرارة فكيف يذكرنا البرد بها؟ وهل هي حارَّة أم باردة؟ وإذا كانت باردة فأيهما أشد إيلامًا الحارة أم الباردة؟ وعلام يدل ذلك؟

---

(1) الواقعة ٢٠
(2) الزلزلة ١،٢
(3) الواقعة ٧١-٧٣

إن مما يجب أن نعرفه جميعًا أن جهنم كما هي حارة فإن من ضمن دركاتها ما هو بارد زمهرير بل إن ما نشعر به من الحر والبرد في الدنيا ما هو إلا جزء من جهنم كما جاء في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضًا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون من الحر من سَمومها وأشد ما تجدون من البرد من زمهريرها**". [1] إذن فالحر والبرد الذي نشعر بهما ما هما إلا فيحان من فيح جهنم.

وهنا سؤال أيهما أشد تعذيبًا وإيلامًا الحر أم البرد؟

قد يتصور الكثير منا لأول وهلة أن التعذيب بالبرد مهما كان شديدًا فإنه أخفُّ وأقلُّ إيلامًا من النار وهذا تصور خاطئ فالحقيقة أن التعذيب بالبرد والزمهرير أشد ألمًا من الإحراق بالنار يقول ابن عباس رضي الله عنه: "**يستغيث أهل النار من الحر فيغاثون بريح باردة يصدع العظام فيسألون الحر**" أي أن أهل النار يستغيثون من شدة حرها فيغاثون بموجة باردة فتكسر عظامهم حتى أنهم من شدة ألمها يطلبون الخروج منها والعودة إلى الحر".

وعن مجاهد قال: يهربون من الحر إلى الزمهرير فإذا وقعوا فيه حطّم عظامهم حتى يسمع لها نقيص. [2]

وعن كعب الأحبار قال: إن في جهنم بردًا يُسقط اللحم حتى يستغيثوا بحر جهنم.

إعجاز علمي: "الكي بالتبريد"

مما سبق يتأكد لنا أن في جهنم بردًا أشد إيلامًا من الإحراق بالنار بل هو يحرق بالفعل تمامًا مثل النار بل أشد، فيأتي العلم الحديث فيثبت ذلك بالفعل فلقد أكد الأطباء هذه الحقيقة العلمية فيما يعرف في الطب بعمليات "**الكي بالتبريد**"

وهي طريقة تعتمد على استخدام درجات حرارة منخفضة جدًا لإحداث موت للخلايا المصابة وتكسيرها بدلًا من استخدام الحرارة.

وهذه الطريقة تستخدم للعلاج من عدة أمراض منها:

١- الأمراض الجلدية السطحية وبعض السرطانات مثل:

أ- الأثاليل أو السنط. ب - الوحمات والزوائد الجلدية

ج - التقرنات. د- الأورام الجلدية الحميدة وبعض الخبيثة.

---

(١) البخاري رقم ٥٣٧ ترقيم البخاري فتح الباري.
(٢) حلية الأولياء ٤٣٠ /٥ ٣٧٠

وتجري الآن تجارب على استخدام الكي بالتبريد في عمليات استئصال الأورام السرطانية من الجهاز الهضمي .

وهذه الطريقة يفضلها الأطباء عن غيرها لأنها:

فعالة – واقتصادية - دقيقة جدًا -لا تتعدى أماكن الإصابة – لا تحدث نزيفًا ولا ألمًا – لا تترك أثرًا على الجلد [1]

ولِمَ نذهب بعيدًا ؟ إنك تستطيع أن تتأكد من ذلك بالتجربة فخذ مكعبًا من الثلج وضعه على أي موضع من جسمك ثم اتركه فترة فإنك ستشعر أولًا ببرودة ولكن مع استمرار قطعة الثلج على جلدك سرعان ما يتحول الإحساس بالبرودة إلى ألم يشبه تمامًا ألم الإحراق حتى إذا رفعت قطعة الثلج من مكانها فانظر موضعها ستجد احمرارًا في الجلد كأنما هو حرق.

وهنا سؤال: وماذا لو تذكرنا زمهرير جهنم؟

إذا كان البرد الشديد يذكرنا بزمهرير جهنم فإن ذلك يحملنا على عدة أشياء:

١- **الاستعاذة بالله منها:**

فإن المسلم إذا علم أن هناك عذابًا ينتظره مثل هذا الذي يشعر به فإنه يجب عليه إذا شعر بالبرد في الدنيا أن يسأل الله أن يقيه منه في الآخرة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: "**إذا كان يوم شديد البرد فإذا قال العبد: لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم اللهم أجرني من زمهرير جهنم قال الله لجهنم: إن عبدًا من عبادي قد استجار بي من زمهريرك أشهدك أني قد أجرته**". [2]

٢- **الحرص على اتقائها:**

من أهم فوائد تذكرك لزمهرير جهنم أنه يحملك على اتقائها والبعد عن كل ما يقربك منها وإتيان كل طاعة تبعدك عنها ولو كان شيئًا يسيرًا فعن عدي بن حاتم أن النبي صلى الله عليه وسلم: "**اتقوا النار ولو بشق تمرة**". [3]

٣- يهون برد الدنيا:

إذا علمت أخي المسلم أن في جهنم بردًا بهذا الوصف فإن ذلك يهون عليك كثيرًا من برد الدنيا فإن تصور الأشد يهوّن كثيرًا من الأقل شدة بل إن تصورك لزمهرير جهنم

---

(١) الأمراض الجلدية د /عاصم فرج عدوى ص٢٣٦ ط مكتبة دار الكتاب الجامعى
(٢) رواه البيهقي في الشعب وابن السني رقم ٣٠٧
(٣) البخاري رقم ١٤١٧

يجعلك قد لا تشعر ببرد الدنيا أصلًا، ولذلك كان أحد الصالحين يصلي من الليل فإذا نعس ألقى بنفسه في الماء البارد وكان يقول: "**هذا أهون علي من صديد وزمهرير جهنم**".

وجاء أيضًا أن سيدنا زبير اليامي قام في ليلة باردة ليتوضأ فلما غمس يده في الماء وجده شديد البرودة حتى كاد يجمد. ورغم ذلك فإنه أصرّ على أن يترك يده في الماء البارد حتى أصبح ولم يصلِ فجاءته جاريته فسألته: لم تفعل ذلك؟ قال: لما وضعت يدي في الماء فوجدته شديد البرد حتى كدت أجمد تذكرت زمهرير جهنم وقلت لنفسي فكيف ببرد وزمهرير جهنم؟ فما شعرت ببرده حتى وقفت عليّ الآن ثم طلب منها ألا تُحدث أحدًا بذلك. تقول الجارية فوالله ما حدّثت أحدًا به حتى مات سيدي.

٤- طلاقة القدرة الإلهية:

إن التعذيب في النار بالبرد دليلٌ واضح على طلاقة القدرة الإلهية ،

ووجه طلاقة القدرة هنا: أن الله تعالى يعذب بالشيء وضده بنفس الدرجة فكما أنه يعذب بالنار فإنه يستطيع وبنفس الدرجة أيضًا أن يعذب بالبرد والزمهرير ليس هذا فقط بل إنه إذا كانت العادة قد جرت بأن النار تحرق فإنه تعالى يستطيع أن يسلب عنها صفة الإحراق كما حدث مع سيدنا إبراهيم عليه السلام وذلك بمجرد صدور الأمر إليها: " **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ** "[1] وكما أهلك فرعون بإغراقه في البحر فإنه تعالى قد نجى نبيه موسى بنفس الوسيلة وهي البحر فكان البحر وسيلة إغراق وهلاك لفرعون ووسيلة نجاة لموسى عليه السلام وهذا هو معنى طلاقة القدرة الإلهية.

فسبحان من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء سبحانه إذا قال للشيء كن فيكون.

هكذا يجب أن تكون نظرة المؤمن لبرد الشتاء نظرة ترقق قلبه، وذلك حينما يرى ما سخره الله له من النعم مما يقيه برد الشتاء، وما في البرد من فوائد تعود عليه في دينه ودنياه فيحمله ذلك على الشكر كذلك حينما يذكره البرد بالفقراء فيحنو عليهم فيرق قلبه لهم مما يحمله على مواساتهم.كذلك حينما يتذكر يوم القيامة وما فيه من أهوال فإن ذلك يحمله على اتقاء ذلك بالأعمال الصالحة والخوف والوجل والخشية من عذاب الله وكلها معاني ترقق القلوب ولذلك قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: "**قلوب بني آدم تلين في الشتاء وذلك لأن الله تعالى خلق آدم من طين والطين يلين في الشتاء**". [2]

([1]) الأنبياء ٦٩

([2]) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ج ١٢ ص٣٢٢